السنة: السابعة المجلد: 07 العدد: 02 ص ص: 577- 597
EISSN 2676-1645 ISSN 2543-375X

التفاعلية الإفتراضية عبر منصات التعليم عن بعد خلال جائحة كوفيد 19
دراسة اثنوغرافية رمزية للتفاعل

Virtual interactive via distance learning platforms during the Covid 19 pandemic
-A symbolic ethnographic study of interaction-

ناريمان حداد*، جامعة قسنطينة 3
narimen.haddad@univ-constantine3.dz
خلود البكري عبد القادر، جامعة باتنة 1
khouloud.albekri-abdalkader@univ-batna.dz

تاريخ الاستلام: 2022/04/28 تاريخ القبول: 2022/06/16

ملخص:

تهدف هذه الدراسة للكشف عن أنماط التفاعل الافتراضي عبر منصات التعليم الرقمية، كنمط وصيغة جديدة للتعليم عن بعد، و كأحد التوجهات التعليمية وخاصة بعد أزمة" كوفيد -19" التي أجبرت المؤسسات الجامعية للتوجه لهذا النوع من التعليم، لذلك فأصبح هذا النوع الجديد حتمية لمواكبة الطلب الاجتماعي، وأيضا للقضاء على المشكلات التي تواجه التعليم الجامعي الجزائري وتؤدي الدور الامثل في تحقيق اهدافه لما تتميز به من سرعة فائقة وقدرة عالية علي الاتصال والتفاعل.

وتنتمي هذه الدراسة إلى الدراسات الكيفية إبستيمولوجيا، إستنادا إلى المنهج الإثنوغرافي، وأداتي والملاحظة بالمشاركة، والمقابلة المعمقة مع مستخدمي منصة class room في كل من جامعتي باتنة 1 ، وقسنطينة 3 تخصص إعلام واتصال، للحصول على نتائج توضح هل حدث اختلاف في التفاعل الرمزي في الوسط الجامعي، باختلاف طريقة سير العملية التعليمية، حيث تحولت من تقليدية واقعية، إلى حديثة افتراضية، بسبب جائحة كورونا،

* المؤلف المراسل

وبالإعتماد أيضا على التفاعلية الرمزية كإطار نظري للدراسة يساعد على تحليل الأبعاد الرمزية للتفاعل داخل هذه المنصة .

الكلمات المفتاحية: التفاعل–منصات التعليم– التعليم عن بعد –جائحة كورونا–التفاعلية الرمزية.

Abstract:

This study aims to reveal patterns of virtual interaction across digital education platforms, as a new pattern and formula for distance education, and as one of the educational trends, especially after the Covid-19 crisis, which forced university institutions to go to this type of education, so this new type has become inevitable to keep pace with social demand, And also to eliminate the problems facing the Algerian university education and play an optimal role in achieving its goals due to its high speed and high ability to communicate and interact.

This study belongs to qualitative studies, epistemology, based on the ethnographic method, my tools and observation by participation, and an in-depth interview with the users of the class room platform in both the universities of Batna 1 and Constantine 3, media and communication specialization, to obtain results that show whether there is a difference in the symbolic interaction in the middle, With the difference in the way the educational process proceeds, as it turned from a realistic traditional, to a virtual modern one, due to the Corona pandemic, and also relying on symbolic interaction as a theoretical framework for the study that helps analyze the symbolic dimensions of interaction within this platform.

Keywords: Interaction – education platforms – distance education – Corona pandemic – symbolic interaction.

مقدمة:

شهد العالم تطورات تكنولوجية حديثة وانفجار معرفي كبير أدى إلى تحول في الحياة الانسانية العادية، من عالم مادي إلى عالم افتراضي تحتضنه هذه التكنولوجيات الحديثة وتجعل من العالم قرية كونية صغيرة يتفاعل أفرادها مع بعضهم البعض، وأصبحت حياة الشعوب تبنى بإقامة علاقات اتصالية بين أفرادها، فكان تطور التكنولوجيا في هذا الميدان السمة الأبرز وهذا يعود إلى ما تمخض عنها من منصات التواصل والتي كان لها الأهمية البارزة في ميادين الحياة البشرية وخاصة مجال التعليم الذي ساير هذا التحول وتبنى أسلوب الرقمنة في قطاعه، وأصبح يعتمد على هذه المنصات بشكل كبير لمسايرة التطور، ومن بين هذه المنصات التي دخلت مجال التعليم: كلاس روم، موودل ...وغيرها.

و يعد التعليم وسيلة لتقدم المجتمعات وتطورها وخاصة في حال نظرت إليه الأمم والحضارات وآمنت به كوسيلة للإصلاح والتغيير وبناء ذات الفرد، حيث تنبهت الأمم والحضارات منذ القدم إلى أهمية التعليم في مراحل النهضة المختلفة التي ترنو لها المجتمعات، بدء من الصحوة، وانطلاقا من اليقظة، ووصولا إلى النهضة، وانتهاء بالمدنية والحضارة، أملا في تدارك المحن وتجاوز الصعوبات التي أثقلت كاهل الأمة وأحدثت خللا في التنظيم الاجتماعي.

إن قطاع التعليم وكعنصر حيوي يتأثر بما يحدث داخل المجتمع، فخلال هذه الأزمة التي يمر بها العالم وهي أزمة كوفيد 19، وما صاحبها من مخلفات في الأرواح البشرية وشلل في بعض القطاعات الحيوية إذ لم نقل كلها، أثر هذا سلبا على الحياة المعيشية للأفراد، ومع الإجراءات والتدابير التي اتخذتها الحكومات للتقليل من نسبة الإصابة من هذا الوباء، من خلال تطبيق نظام الحجر الصحي الذي يفرض على الفرد البقاء في المنزل والخروج إلا في أوقات محددة، ووجوب ارتداء القناع الواقي واحترام مسافة التباعد ومع هذه الأحداث وخطورة هذا الوضع كان لابد من انتهاج نظام آخر للتعليم يضمن سلامة الأفراد ويحميهم، فكان التعليم عن بعد النظام الأنسب الذي اتخذته معظم دول العالم لمواجهة وباء كورونا.

والتعليم عن بعد يعد أحد طرق التعليم الحديثة نسبيا ، ويعتمد بالأساس على تكنولوجيا الاعلام والاتصال الحديثة والتي بدورها أنتجت لنا منصات مخصصة لتعليم، تسمح بوجود المتعلم في مكان يختلف عن مكان المصدر الذي قد يكون الكتاب أو المعلم أو حتى مجموعة الدارسين، كما يعتبر على أنه نقل برنامج تعليمي من موضعه في حرم مؤسسة تعليمية ما إلى أماكن متفرقة جغرافيا ، وتخلق عالم افتراضي يتفاعل فيه الطلاب الذين لا يستطيعون تحت الظروف العادية الاستمرار في برنامج تعليمي تقليدي للمؤسسة التعليمية.

إن الحاجة إلى استخدام المنصات الرقمية في العملية التعليمية، وجب على مؤسسات التعليم العالي إعداد طلابها لمجابهة التطورات الحديثة ودفعهم اتجاه استخدام هذه المنصات، وإن اعتماد هذه الأخيرة ليس وليد الحاضر بل استخدمت العديد من الجامعات في مختلف أنحاء العالم وسائل التعليم عن بعد بصور مختلفة ومنها توصيل البرامج التعليمية مباشرة على شبكة الانترنيت، ولهذه التطورات قوتها وأثرها في تحويل عملية التعليم التقليدية التي تتم وجها لوجه إلى برامج التعليم عن بعد. والجامعة الجزائرية كغيرها من جامعات العالم استخدمت منصات التعليم عن بعد لمواجهة مخلفات هذه الجائحة (covid19)ولمواصلة سير التعليم في الجامعات والهدف المنشود من ممارسة التعليم عن بعد هو لتجنب الاختلاط بين كافة أفراد الأسرة الجامعية، وأيضا لمنع حدوث فجوات تمنع الطالب أو الباحث من تلقي المعرفة ويرتكز هذا النظام حاليا على شبكة من المنصات التعليمية الالكترونية التي تسمح لمستخدميها بالتفاعل في ما بينهم عن بعد.

وتختلف أنواع هذه المنصات من جامعة إلى أخرى إلا أنها كلها تهدف إلى الحفاظ على السير العام لعملية التعليم وعلى التنظيم الاجتماعي المكون للجامعة، وكان من بين الجامعات الجزائرية التي اعتمدت منصات التعليم عن بعد جامعة صالح بوبنيدر بقسنطينة ، وجامعة باتنة 1، والتي في اطار نشاطات علاقاتهما العامة خلال هذه الأزمة الوبائية، فإنهما تسعيان للحفاظ على العلاقات مع جمهورهما، من خلال الاعتماد على منصة تعليمية تحافظ على هذه العلاقات والتأثيرات المتبادلة، وللحفاظ على المكانة المرموقة التي تحظيان بها على المستوى الوطني، كان لزاما عليهما أن يعتمدان على منصات تعليمية تسمح بتحقيق طموحاتهما، فكان اعتمادهما على منصة كلاس روم على غيرها من المنصات الأخرى ،كونها المنصة التي تحقق الغرض المطلوب ولمميزاتها وسهولة استخدامها، ونظرا لأهمية هذا الموضوع وهذه التقنية المعتمدة في التعليم عن بعد من قبل الجامعة لمجابهة جائحة كوفيد19.

وبناء على ما سبق يمكن طرح التساؤل التالي :

- كيف يتفاعل مستخدمي منصات التعليم عن بعد في كل من جامعة باتنة 1 و جامعة قسنطينة 3 مع مضامينها في ظل جائحة كوفيد 19؟

ويتفرع عن التساؤول الرئيسي التساؤولات الفرعية التالية :

- ما طبيعة المضامين التي تطرحها منصات التعليم عن بعد؟
- ما نوع اللغة التي يستخدمها مستخدمي منصات التعليم عن بعد؟
- ما الدلالات التي يستخدمها مستخدمي منصات التعليم عن بعد؟

ـ ما هي تمثلات مستخدمي منصات التعليم عن بعد؟

1. **مفاهيم الدراسة** :

1.1. التفاعلية :

هي كلمة لاتينية تتكون من جزأين Inter بين أو فيما بين، و Active : تعني الممارسة في مقابل النظرية، وبترجمة المصطلح Interactivité من اللاتينية

يتركب لنا المعنى الآتي والذي تعني التفاعلية في إطار ممارسة بين اثنين، أي تبادل وتفاعل بين شخصين (بن يونس، العايب، 2018، ص25)

- اصطلاحا:

تدرس التفاعلية الفعل الاتصالي للأفراد لمعرفة كيفية تفاعلهم وكيفية انتاجهم للمعنى الذي يريدون ايصاله الى الآخرين، وطرق اقناعهم وأشكال الفعل التي يسلكونها من أجل تحقيق أهدافهم.(قاسيمي، 2018، ص89)

ويعرفها نصر الدين العياضي:"بأنها مفهوم مبتكر في البداية للدلالة عن شكل خاص من العلاقة بين السمعي البصري والمشاهد، ويهدف إلى تحويل المشاهد الساكن السلبي إلى عنصر فعال ونشيط بشكل يؤثر في البرمجة، لكن الاستخدام التدريجي والمتعدد لهذا المفهوم أصبح يدل على كل أنواع مشاركة المتلقي في الرسالة سواء أحدث رجع الصدى أم لم يحدث " .(جفال، حداد، 2019، ص134)

2.1. التفاعل الافتراضي :

يعتبر التفاعل الافتراضي الامتداد الحقيقي للاتصال الافتراضي الذي يرتبط بدور الانترنيت الذي استقر في الممارسة اليومية لمستخدمي هذه الشبكة، فقد توسع نسيج الفضاء المعلوماتي وزاد من فروعه فتحول الويب إلى أرضية رقمية لإنشاء فضاءات اتصال وتواصل من المدونة والدردشة إلى الفايسبوك .(عباس، 2018، ص119)

- إجرائيا: يفيد مصطلح التفاعلية في دراستنا تلك العلاقات الاتصالية القائمة بين مستخدمي منصات التعليم في كل من جامعة باتنة 1 وجامعة قسنطينة 3 عن بعد بواسطة استخدام اللغة والرموز، التي تحمل في طياتها دلالات ومعاني، يتم فهمها من خلال عملية التفاعل الاجتماعي في الوسط الجامعي.

3.1. منصات التعليم عن بعد:

- منصات :
- لغة :

وهي كلمة تعني باللغة الإنجليزية platform والتي تعني قاعدة أو نظام تشغيل

- اصطلاحا:

"بيئة تعليمية تفاعلية و توظيف تقنية الويب، و تجمع بين مميزات أنظمة إدارة المحتوى الإلكتروني وبين شبكات التواصل الاجتماعي، وتمكن المتعلمين من نشر الدروس والأهداف ووضع الواجبات وتطبيق الأنشطة التعليمية، والاتصال بالمعلمين من خلال تقنيات متعددة، كما أنها تمكن المعلمين من إجراء الاختبارات الإلكترونية وتوزيع الأدوار وتقسيم الطلاب إلى مجموعات عمل وتساعد على تبادل الأفكار والآراء بين المعلمين والطلاب ومشاركة المحتوى العلمي، وتتيح لأولياء الأمور التواصل مع المعلمين والاطلاع على نتائج أبنائهم مما يساعد على تحقيق مخرجات تعليمية ذات جودة عالية"

(دحماني، 2020، ص16)

وتعرف أيضا على أنها "بيئة تعليمية تفاعلية توظف تقنية الويب وتجمع بين مميزات أنظمة إدارة المحتوى الإلكتروني وبين شبكات التواصل الاجتماعي الفيس بوك، تويتر ..."(كويحل، ساناطور، 2921، ص09)

- إجرائيا: ونقصد بالمنصات في دراستنا هي تلك التطبيقات الالكترونية المخصصة للتعليم عن بعد والتي تسمح بالتفاعل بين مستخدميها ونقصد بالضبط منصة كلاسروم التعليمية المعتمدة في جامعة صالح بوبنيدر قسنطينة3، وجامعة باتنة1.

• التعليم عن بعد: طريقة ابتكارية لإيصال بيئات التعلم الميسرة، والتي تتصف بالتصميم الجيد والتفاعلية والتمركز حول المتعلم، لأي فرد وفي أي مكان أو زمان، عن طريق الانتفاع من الخصائص والمصادر المتوفرة في العديد من التقنيات الرقمية سويا مع الأنماط الأخرى من المواد التعليمية المناسبة لبيئات التعلم المفتوح والمرن .(زايد ، 2020، ص490)

ويعرف أيضا تلك "العملية التعليمية التي يكون فيها الطالب مفصولا أو بعيدا عن الأستاذ مسافة جغرافية يتم عادة سدها باستخدام وسائل الاتصال الحديثة." (رضوان، 2016، ص06)

وهو أيضا نظام تعليمي غير تقليدي مكن الدارس من التحصيل العلمي والاستفادة من العملية التعليمية بكافة جوانبها دون الانتقال إلى موقع الدراسة ومكن المحاضرين من إيصال معلومات ومناقشات للمتلقين دون الانتقال إليهم، كأنه يسمح للدارس أن يختار برنامجه التعليمي ما يتفق مع ظروف عمله والتدريب المناسب والمتاح لديه للتعليم دون الحاجة إلى الانقطاع عن العمل أو التخلي عن الارتباطات الاجتماعية .

4.1. جائحة كوفيد 19: كوفيد -19 هو المرض الناجم عن فيروس كورونا المستجد المسمى فيروس - سارس - 2، وقد اكتشفت المنظمة هذا الفيروس المستجد لأول مرة في 31 كانون الأول/ ديسمبر 2019، بعد الإبلاغ عن مجموعة من حالات الالتهاب الرئوي الفيروسي في يوهان بجمهورية الصين الشعبية .

وقد كان لهذه الأزمة تداعيات كبيرة على مناحي الحياة كافة، ليس فقط في الجزائر ولكن في أكثر دول العالم، ولقد بدى لنا في أول الأمر على أنه أزمة صحية عابرة، تحولت بعد فترة زمنية قصيرة إلى أزمة اقتصادية واجتماعية وسياسية ألقت بظلالها بشكل مقلق على التعليم الجامعي، حيث اضطرت المؤسسات الجامعية في مختلف أنحاء العالم إلى تعليق الدراسة مدة غير محددة للوقاية والحد من انتشار هذا الفيروس، فأصبحت هناك ضرورة استعجالية

لدعم متطلبات التعليم عن بعد للحفاظ على سلامة وصحة الطلبة، وضمان استمرارية العملية التعليمية .

لقد مثلت هذه الأزمة في ميدان التعليم الجامعي في الجزائر اختبارا حقيقيا للقدرة على وضع استراتيجية قادرة على تحقيق التوازن بين الاعتبارات المتعلقة بحياة الطلبة الاجتماعية وظروفهم المادية وتلك المتعلقة بقدرات الجامعة المادية المرتبطة أساسا بالاقتصاد الوطني والموارد المالية للدولة، اذا كانت كل أزمة تحمل في طياتها تحديا، فإن جائحة كورونا وبالرغم من كل جوانبها السلبية تتضمن في ميدان التعليم الجامعي في الجزائر فرصا وظواهرا إيجابية يمكن الاستفادة منها؛ العودة إلى التعلم الالكتروني الذي يعرف تحديات كبيرة وإعادة تفعيله من خلال التكوين الجاد للأساتذة والطلبة، ليلعب دوره في دعم التعليم الجامعي سواء أكان أثناء هذه الأزمة الخطيرة أم بعدها.

2. منهجية الدراسة:

في الدراسات العلمية عامة وفي الدراسات الإعلامية والاتصالية خاصة أنواع متعددة المعايير تصنيف الدراسات فهناك دراسات تقسم حسب أسلوب البحث إلى دراسات كمية أو كيفية، وهناك تقسيمات تتم على أساس المنهج إلى دراسات وصفية أو تجريبية وهناك من يجمع بين كل هذه التصنيفات.

وانطلاقا مما سبق نخلص إلى أن دراستنا و المعنونة بـــ التفاعلية الإفتراضية عبر منصات التعليم عن بعد في ظل جائحة كوفيد19 تندرج ضمن الدراسات الوصفية الكيفية هذه الأخيرة التي لا تقتصر على مجرد جمع البيانات الإحصائية، وإنما يعتمد مجالها على تصنيف البيانات والحقائق وتفسيرها وتحليلها تحليلا شاملا، واستخلاص نتائج ودلالات مفيدة.(حسين، 1976، ص123)

وانطلاقا مما سبق ومن كون دراستنا تعتمد على البراديغم التفسيري وبنظرية التفاعلية الرمزية، وأن التفاعلية يكشف عنها كيفيا تأويليا اندرجت دراستنا ضمن الدراسات الوصفية الكيفية والتي نهدف من خلالها إلى الكشف عن تفاعلية مستخدمي منصة كلاس روم خلال جائحة كوفيد 19، ومحاولة فهم وتأويل تفاعلات وتمثلات الطلبة من خلال ملاحظة المعاني والدلالات البارزة في منصة كلاس روم التي يتداولونها ومحاولة تحليل التفاعلات اليومية عبر هذه المنصات لفهم الظاهرة أكثر، وكل هذا لا يكون إلا بدراسة وصفية كيفية.

و إن معظم الدراسات وعلى اختلاف أنواعها تحتاج إلى طريق تسلكه، هذا الطريق يحدده الباحث حسب نوع دراسته وحسب الأهداف المسطرة من الدراسة، وهذا المسلك أو الطريق في البحوث العلمية يسمى بالمنهج.

ويعرفه عبد الرحمن بدوي من جهته المنهج بأنه :" الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم، بواسطة طائفة من القواعد العامة، تهيمن على سير العقل، وتحدد عمل/❖ياته. حتى يصل إلى نتيجة معلومة". (الرفاعي، 1998، ص123)

و اعتمدنا في هذه الدراسة على المنهج الاثنوغرافي والذي يتناسب مع الدراسات الوصفية الكيفية، ويعرف بأنه " طريقة أو أداة لفهم أساليب وطرق مجتمع ما في الحياة اليومية، وذلك من خلال معرفة أفكار أعضائه ومعتقداتهم وقيمهم وسلوكياتهم، وما يصنعوه من أشياء وكيف يتعاملون معها ويتم ذلك عن طريق الملاحظة في الأوضاع الطبيعية لحياتهم"، وينطلق المنهج الاثنوغرافي من مفهوم نظري وفلسفي مناقض لمفاهيم البحوث التقليدية، ففي حين يسعى البحث الكمي الإحصائي إلى تحديد الأسباب، والتنبؤ وتعميم النتائج، يسعى البحث الاثنوغرافي إلى التبصر والفهم والاستكشاف، ودراسة السلوك الإنساني من خلال التفاعل بين الباحث والمبحوثين، وعبر الفهم المتعمق لشعور وأحاسيس وأفكار ومعتقدات .(عساسي، 2015، ص42)

وتم تحديد مجتمع دراستنا متمثل في منصة كلاس روم والمستخدمون لهذه المنصة من طلبة وأساتذة جامعة صالح بوبنيدر، وجامعة باتنة 1 ، ولأن مجتمع البحث كبير وواسع ونظرا لصعوبة إجراء مسح شامل لجميع مفرداته استخدمنا أسلوب العينة من خلال اختيار عينة من مجتمع البحث، وبما أن دراستنا اعتمدت على أداتين هما الملاحظة بالمشاركة الالكترونية كأداة رئيسية وهذا لأن مجتمع البحث افتراضي غير مادي يتمثل في منصة كلاس روم (Google Classroom)و أيضا لكوننا جزء من الظاهرة ونتعايش مع مجتمع البحث ، والمقابلة المعمقة كأداة ثانوية حيث كانت 25 مقابلة معمقة الكترونية لكل جامعة كافية للحصول على المعلومات التي نريدها ، وحسب الأداتين المستخدمتين في الدراسة كان اختيار العينتين بطريقة قصدية بحيث "يكون الاختيار في هذا النوع من العينات على أساس حر من قبل الباحث، وحسب طبيعة بحثه بحيث يحقق هذا الاختيار هدف الدراسة أو أهداف الدراسة المطلوبة ".(در، 2017، ص316)

3. التفاعلية الرمزية كإطار نظري للدراسة :

يعتبر الإطار النظري للدراسة أهم ركائز البحث العلمي والأرضية الخصبة لإستنباط النقاط الإرشادية لمعالجة أي موضوع بحث علمي، والتي من شأنها أن تجعل الباحث يقف على نقاط منهجية رصينة دون المضي في إجراءات بحثه العلمي من فراغ، ودون دلائل إرشادية واضحة، حيث أن من أهم مرتكزات أي بحث علمي ودعائمه انطلاقه من مقاربة نظرية تعزز دراسة موضوعه وتساهم في تحديد وطرح أبعاد اشكاليته بدقة.

و ارتكزت دراستنا هذه على المقاربة النظرية المتمثلة في التفاعلية الرمزية كمنظور إرشادي يمكننا من فهم وتفسير كيف يتفاعل مستخدمي منصة (Google Classroom)في ظل جائحة كوفيد 19 من خلال الرموز اللفظية والغير لفظية ، وما طبيعة مضامين هذا التفاعل وما طبيعة اللغة المستخدمة خلاله، وما دلالات تلك الرموز والإشارات المستخدمة .

و ترجع أصول النظرية للكتابات القديمة التي اهتمت باكتساب الناس للمحددات المشتركة لمعاني الأشياء، بما في ذلك سلوك الحياة اليومية وذلك من خلال التفاعل مع الآخرين حيث قال أفلاطون: "إن معرفة العالم الذي نعيشه لا يتوقف على الملموس بالحواس فقط، وإنما الاتفاق في إطار الجماعة حول معاني مشتركة وبالتالي فالحقيقة عبارة عن بناء متفق عليه يدركه الناس ويفهمونه"، وتبلور هذا المفهوم في كتابات كثيرة في عصر النهضة وما بعدها، على أن الأفراد لا يستجيبون للمفهوم في ذاته وإنما للصور التي تتشكل في عقولهم حول ذلك المفهوم .(جفال، حداد، 2018، ص916)

وقد نشأت التفاعلات الرمزية في الولايات المتحدة الأمريكية في وقت كان يمر علم الاجتماع فيها بأزمة، وكان من بين مظاهرها مشكل التوجهات المنهجية، حيث انتقد رواد هذا التوجه الواقع العلمي الذي كان يتميز بالاعتماد على منهجيات قائمة على الاستمارات الاستبيانية التي كانت تتجاهل بشكل أو بآخر الفاعلين الاجتماعيين بخصوصياتهم المتميزة. (بوجمعة، 2007، ص78)

إضافة إلى أن جذور التفاعلية الرمزية ترتبط أيضا بإسهامات بعض علماء النفس والتربية، وأفكار أساسية بالفلسفة البراغماتية، فالأصل أن البرغماتية هي فلسفة الفعل، والتيهي جزء من فلسفة المعرفة التي مع فلسفة الوجود وفلسفة القيم تشكل الفكر الفلسفي الشامل،كما أن النمط الفكري، والمثال المعياري لهذه الفلسفة موجهة للضبط الاجتماعي من خلال التنظيم الاجتماعي الذي يصوغ الذات الإنسانية لهذا الغرض، ومن أهم الأفكار التي تبناها مؤسسو التفاعلية الرمزية كالتركيز على التفاعل بين الفاعل وبيئته الاجتماعية والطبيعية والنظر بأن كلا الفاعل وبيئته متغيران، والجانب الأخير هو النظر والإقرار بقدرة الفاعل على تأويل بيئته من حوله وهذا ينصب في دائرة التفسير الاجتماعي للإيكولوجيا الذي تأثرت به التفاعلية الرمزية .(بن عبد الله، تامي، 2017، ص191)

وبتالي فإن التفاعلية الرمزية هي نظرية على المستوى الجزئي تركز على العلاقات بين الأفراد داخل المجتمع، و يعتقد أن التواصل ، و تبادل المعنى من خلال اللغة والرموز هو الطريقة التي يفهم بها الناس عوالمهم الاجتماعية، وقد لاحظ المنظران "هيرمان ورينولدز" أن هذا المنظور يرى الناس فاعلون في تشكيل العالم الاجتماعي بدلا من مجرد التصرف بناء عليه.(بركات، 2019، ص27)

وتركز التفاعلية الرمزية على الأفراد كوحدة أساسية للتحليل، ويرى علماء النفس الاجتماعي أنه من السهل أن يفهم سلوك الجماعات الكبرى من خلال النظر إلى أولئك الأفراد الذين يشكلون تلك الجماعة، والتعرف على الكيفية التي يتفاعلون بها مع بعضهم البعض بما يحقق في النهاية شخصية مميزة لكل جماعة من الجماعات الموجودة داخل البناء الاجتماعي للتنظيم.(شيبة، 2016، ص89)

يعتبر جورج هيربرت ميد مؤسس لنظرية التفاعل الرمزي على الرغم من أنه لم ينشر أبدا أعماله حولها وقد ابتكر هربرت بلومر، وهو أحد طلاب ميد، مصطلح "التفاعلية الرمزية"، ووضع هذه المقدمات الأساسية: أن تفاعل البشر مع الأشياء يكون بناء على المعاني المنسوبة لتلك الأشياء؛ و إن المعنى المنسوب للأشياء يأتي من تفاعلنا مع الآخرين والمجتمع .(بركات، ص28)

ووفقا لتفاعلية الرمزية فالحياة الاجتماعية معرفيا هي التفاعل الانساني أو البشري من خلال استخدام الرموز والإشارات ولذا فهي تهتم بنقطتين هما:

- الطريقة التي يستخدم بها البشر الرموز بما يقصدوه لكي يتصل كل الواحد بالآخر.
- بتفسيرات نتائج هذه الرموز على السلوك الخاص بالجماعات أثناء عملية التفاعل الاجتماعي .(جونز، 2010، ص153)

1.3. منظور التفاعلية الرمزية واستخداماته في دراسات الاتصال:

وتتضح أهمية التفاعلية الرمزية لدارسي الإتصال في كتاب " الإتصال و السلوك الإجتماعي منظور التفاعلية الرمزية " حيث قام بإعداده كل من : " دون .ف. فالس " D . VOLES " و دنيس ألكسندر "D. ALEXENDRE سنة 1978 ، حيث أسس الباحثان تحليلاتهما على تعريف الاتصال في ضوء التفاعلية الرمزية على أنه "سلوك رمزي ينتج بدرجات مختلفة المعايير وقيم مشتركة بين المشاركين"، إذ يمكن تحديد العناصر الأساسية و الأفكار العامة التي تكشف لنا بوضوح عن هذا التعريف لعملية الاتصال عموما ، والإعلام خصوصا كما حددها رواد نظرية التفاعل الرمزي للاتصال. (حمدي، 1991 ،ص90)

و ضرورة استخدام اللغة و التي تتضمن الرموز والإشارات و المعاني التي تحدد أنماط الإتصال الذاتي و بين الأفراد و الجماعات و تفسر العلاقات الاجتماعية بصورة عامة ، ويعتبر الفعل هو (المصدر) لعمليات التفاعل والإتصال وانتقال الأفعال الإجتماعية و ردود الأفعال والسلوك و الإتجاهات والقيم من الحالة الفردية إلى الجمعية.

و يتجدد السلوك بواسطة الأفراد ، لكن يتم تشكيل سلوك الأفراد والجماعات عن طريق أنماط التفاعل و الإتصال الرمزي (اللغة) أو الوسائل الإتصالية والإعلامية المختلفة ، وبتالي يتأثر السلوك الفردي و الجماعي عن طريق التأثر بطبيعة الموقف و هذا ما أكد عليه كل من " ميد ، بلومر " ، لا سيما أن طبيعة هذا السلوك و أنماط التفاعل موجهة لتحقيق أهداف معينة و لكن داخل كل ذات فردية يوجد نشاط و إبداع و فرص للتعبير، والتعبير عن ذلك كله عن طريق أنماط و أساليب الإتصال البشري.

من الواضح أن وسائل الإتصال الجماهيرية تمارس دورا مهما في المجتمعات الحديثة ، فهي تقدم تفسيرات للواقع بالكلمة والصورة والحركة واللون وتضفي على من يتلقون الرسالة الإعلامية صبغة ذاتية ، ويبني الأفراد معاني مشتركة للواقع المادي والاجتماعي من خلال ما يسمعونه و ما يقرؤونه و ما يشاهدونه . (ديفلر ،روكيتش، 1993 ،ص355)

ومن تم فإن سلوكهم الشخصي والاجتماعي يمكن أن يتحدد جزئيا من خلال التفسيرات التي تقدمها وسائل الإعلام للأحداث الاجتماعية والقضايا التي لا توجد مصادر معلومات بديلة عنها، ويعد هذا أحد أعقد النماذج المستخدمة في بحوث الاتصال، وهو ضروري لفهم التأثيرات غير المباشرة وبعيدة المدى لوسائل الإعلام سواء أكان ذلك على مستوى الأفراد أو الجماعات.

2.3. توظيف المقاربة النظرية في موضوع الدراسة:

إن البراديغم ينطلق من فكرة أن أفضل طريقة لنظر إلى المجتمع هي اعتباره نظاما للمعاني، وبالنسبة إلى الأفراد فإن المساهمة في المعاني المشتركة المرتبطة برموز اللغة تعد نشاطا مرتبطا بالعلاقات بين الأشخاص تنبثق منه توقعات ثابتة ومفهومة لدى الجميع، تقود السلوك الإنساني في اتجاه النماذج التي يمكن التكهن بها.

انطلاقا من هذه الفكرة فتحت لنا التفاعلية الرمزية المجال لدراسة التفاعلية عبر منصة (Google Classroom)، ولكون هذه المنصة تمثل وسيلة اتصالية أو يمكن القول هنا أنها تمثل " المجتمع" الذي يتم خلاله التفاعل، و هذه المنصات تدفع أصحاب الاهتمامات المشتركة إلى الالتقاء وخاصة أن هؤلاء يجمعهم شيء واحد مشترك وهو التعليم، وما يحتويه من رموز ضمنية، تحتوي على دلالات يستطيعون فقط مستخدمي هذه المنصات فك شفرتها، نتيجة الإطار المشترك، والثقافة الواحدة، فتسعى هذه المنصة التعليمية إلى جمع هؤلاء في مجال افتراضي يتفاعلون فيه مع بعضهم البعض بلغة و رموز مشتركة ومعاني ودلالات تشكل مضامين تفاعلهم، وهذه الدلالات متفق عليها من قبلهم، وتم التعود على استخدامها .

4. نتائج الدراسة:

يجدر الإشارة ان نتائج الدراسة لا تعمم على كل المواسم الجامعية في جامعتي باتنة 1، وقسنطينة 3، أو على كافة الجامعات الجزائرية، بسبب انتمائها إلى الدراسات الكيفية، بل تمثل النتائج عينة الدراسة فقط، و من خلال المقابلة الاثنوغرافية الإلكترونية، والملاحظة بالمشاركة الإلكترونية تبينت لنا النتائج العامة التالية:

- من حيث طبيعة موضوعات مستخدمي منصة كلاس أن طبيعة الموضوعات من حيث الشكل تأخذ عدة أشكالها وهي موضوعات مكتوبة، موضوعات سمعية بصرية، موضوعات بصرية ومن حيث النوع فقد كانت تتمثل في موضوعات تتعلق بالدروس وموضوعات تتعلق بالأعمال الموجهة (التطبيقية) بشكل كبير وهذا يرجع إلى إن هذه المنصات هي إنعكاس لقاعات المحاضرات الحقيقة، فبالتالي الموضوعات تتشابه إلى درجة كبيرة مع الموضوعات الدراسية السابقة، ولكن الإختلاف الوحيد هو في الشكل، حيث تتخذ هذه الموضوعات الصبغة الإلكترونية شكليا، وتستفيد من مميزات تكنولوجيا الإعلام والإتصال الحديثة، وموضوعات تخص الارشادات والتهاني خلال المناسبات، بسبب إن هذه المنصات هي منصات إجتماعية إفترضية يتم ممارسة كافة التفاعلات الإجتماعية الموجودة في المجتمع الحقيقي، ولكن بشكل إفتراضي فقط وليست وجها لوجه .
- من حيث نوع اللغة المستخدمة في منصة كلاس روم فإن اللغة المستخدمة هي اللغة العربية بدرجة كبيرة، لأن اللغة العربية لها مكانتها العلمية والتقنية من بين لغات العالم ، ولأن اللغة العربية هي لغة التفاعل داخل الوسط الجامعي، ولكن يجدر التفريق بين لغة التدريس ولغة البحث العلمي، فالتدريس يتم في كل بلاد العالم باللغة الوطنية (الدارجة) والتي هي عبارة عن رموز نفهمها من خلال عملية التفاعل الإجتماعي المطولة، ولا يوجد بلد مهما كان صغيرا إلا ويدرس بلغته. فأيسلندا مثلا وهي جزيرة للصيادين عدد سكانها لا يتجاوز 300 ألف، تدرس باللغة الأيسلندية، والدانمارك بلد سكانه نحو 5 ملايين نسمة لكنها شهيرة بالفيزياء وفيها معهد يعد من أهم المراكز العلمية في العالم وتدرس بلغتها الدانماركية والأمثلة كثيرة، لأن اللغة هي أساس أي تفاعل رمزي، لذلك وجب أن تكون لغة رموزها متفق عليها من قبل المجتمع وأفراده المتفاعلين فيما بينهم لكي تم التفاعل بشكل سليم وصحيح، في حين أن لغة البحث العلمي المستخدمة هي اللغة العربية الفصحى وهي رموز متفق عليها في

الوسط الجامعي والأفراد المتفاعلين بداخله من طلبة وأساتذة ، واستخدام الفرنسية كلغة ثانوية بالرغم من أنها ميراث الاستعمار الفرنسي إلا أن تمثلاتها عند مستخدمي المنصة تمثل لغة الإدارة و التعليم و الرقي والتحضر وتبين خلال تفاعل المستخدمين من أساتذة وطلبة حضور ظاهرة "التعاقب اللغوي" بين اللغة الفرنسية و العامية، اللغة العربية الفصحى و العامية ...، وينمي طغيان العامية المختلطة بالفرنسية لأنها لغة الواقع أو لغة المجتمع ، فبالتالي هي رموز مستوحاة من لغة من رحم الإستعمال اليومي للغة المجتمع ،وهي لغة التفاعل اليومي، كما تبين أيضا أن اللغة الأجنبية هي اللغة التي يدون بها المستخدمون أسماء حساباتهم، وهذا يرجع هناك إشكال تقني؛ ذلك أن أغلب الهواتف والحواسيب مبرمجة باللغات الأجنبية، وهذا يضطر إلى استعمال الحروف اللاتينية، وأيضا لمسألة نفسية بامتياز، فهناك إحساس بالانهزامية والدونية أثناء استعمال الحرف العربي، في حين أن استخدام الحرف اللاتيني يكسب الشخص إحساسا بالتقدم والتميز، وهذا الإحساس هو ناتج عن التفاعل المجتمعي، و المسألة مسألة تعود أيضا.

- من حيث الدلالات التي يعبر بها مستخدمي منصة كلاس روم مع مضامينها فقد بينت النتائج بأن مختلف الصور والرسائل والموضوعات تحمل رموزا يتفاعل بواسطتها المستخدمون على منصة كلاس روم من خلال فهم المعاني والرموز التي يتعاملون بها، لينتجوا بذلك أفعالهم ويتصرفون حيال تلك المعاني في مواقف اجتماعية معينة خاصة بالوسط الجامعي والعملية التعليمية، وهذا حسب وجهة نظر الاتجاه التفاعلي الرمزي، وكذلك ليشكلوا هوياتهم الجامعية حسب وجهة نظر الآخرين (الأساتذة) التي تحدد داخل الجماعة التي ينتمون إليها وهذا ما نظر إليه هربرت ميد، وأيضا أنهم ينتمون إلى نفس ثقافتهم ويحملون نفس عاداتهم وتقاليدهم ونقصد بها هنا الثقافة المتشكلة في الوسط الجامعي باعتبار أن الجامعة هي المجتمع، والمنصات التعليمية عبارة عن وسيلة اتصالية تساعد على التفاعل داخل هذا المجتمع، ويتكلمون بنفس لغتهم

(اللغة التعليمية)، فيحافظون بذلك على إحدى المقومات الأساسية لثقافتهم، و لوجود أفكار متشابهة واتجاهات بينهم، وبتالي ينشأ الحوار بينهم خاصة في المواضيع العلمية التي تتعلق بدراستهم إضافة إلى طلب الاقتراحات من الذين سبقوهم في الدرجة العلمية، و أنهم يدرسون معا في نفس التخصص، حيث أن لهم آراء وأفكار متشابهة، وهناك احتكاك يومي مع بعضهم البعض بسبب تواجدهم الدائم في السابق قبل جائحة كورونا في نفس حجرات الدراسة فهي مكان لمناقشة أمور تتعلق بمواضيع تخص دراستهم كالبحوث وغيرها، وبالتالي نجد أن هناك، تجاذب قوي بينهم مما يجعل الحوار فعال، فيتحقق التفاعل الإجتماعي والتواصل الذي له آثار إيجابية على الجماعة التي ينتمون إليها.

- من حيث تمثلات المستخدمين في منصة كلاس روم مع مضامينها فقد تبين بأن موضوعات منصة كلاس روم لم تقدم الفائدة الكبيرة للمستخدمين ولم تؤدي الهدف المرجو منها، وهذا بسبب أن هذه الطريقة (التعليم عن بعد عبر المنصات) في التفاعل جديدة بالنسبة لهم، وبتالي لم تترسخ رموزها وإشارتها التي تحمل أبعادا ضمنية، ولم يتم الإتفاق على هذه الدلالات إجتماعيا، لأن نظام الأشياء ليس معطى بطريقة مباشرة وعادية، بل هو بناء تقوم به الذات الفردية أو الجماعية على حد سواء، ويعني هذا أن دلالة الأشياء لا تتحقق خارج التجربة الإنسانية، ويصبح تحديد دلالة العلامة سواء كانت أيقونية أو رمزية أو أمارية رهينا بما نملكه من معرفة مسبقة تشتغل كسنن وفقه يتم إدراك هذه العلامات، أما بالنسبة إلى حضور وتفاعل الطلبة فهناك عدم تفاعل مع حضور غير قوي على منصة كلاس روم، وهذا بسبب ثقافة التعليم الذاتي لدى الطالب الجزائري مازالت مقيدة بالنظام التقليدي، فحتى لو وجدت منصات تعليم إلكترونية سهلة الإستخدام و تتمتع بسمة اللامكان واللامركزية، ولكن مازال العقل الجمعي لم يستوعب بعد مميزات التعليم الذاتي ولم يتدرب على أدواته وتقنياته التي قد تشجع على أن ينهل من معارفها وخدماته، أما بالنسبة إلى ضرورة وضع أسماء

وصور حقيقية على الحسابات فقد كانت النتيجة وجود تأييد فعلي بضرورة وضع المستخدم اسمه الحقيقي لكي يسهل التعرف عليه ويكون التفاعل معه بشكل أسهل، وأيضا لأن الإسم هو رمز يدعم الهوية، فكما تساهم النماذج المحيطة ببناء شخصية الفرد، كذلك اسمه يساهم في هذا البناء والتنشئة، فأن يتنادى باسم هو أمر حيوي وصريح يعبر عن وجوده، في حين أنه يرى البعض بأن وضع صور على الحسابات ليس بضروري بالرغم من الدلالات التي تحملها الصورة، فهي أبلغ من الكلمة وتحمل في طياتها الكثير والكثير من الرموز والمعاني، و كانت الصور التعبرية أكثر الصور يتم إستخدامها كصورة شخصية، وهذا يرجع لعملية التفاعل الإجتماعي في العالم الحقيقي وحاصة بالنسبة للمرأة ، حيث تتعدد الأسباب التي تمنع المرأة الجزائرية من وضع صورتها الشخصية، حيث أن العادات والتقاليد في المجتمع تمنعهن من ذلك، وأيضا الخوف من التحرش والإبتزاز،وهناك من يمنعهن من ذلك.

خاتمة:

وفي النهاية نستنتج أن تفاعل المستخدمين وخاصة الطلبة مع المنصة الرقمية كان محدودا ولا يرقى لتحقيق الأهداف الجديدة، بسبب عدم التعود على هذا النمط الجديد من التعليم قبل الجائحة، حيث لا يمكن لهذه المنصات تكون بديلا عن التعليم الجامعي التقليدي عندما يكون دور الجامعة والأساتذة نوعيا أي يتضمن التفاعل مع الطلبة وبث روح النشاط والحماس فيهم، وبتالي فهذه المنصات قد أدت إلى خمول التفاعل الرمزي، بسبب عدم توظيف التعلم التفاعلي الذي يزيد انتباه الطلبة بإشراكهم المباشر كمساهمين لا كمتلقين، وهذا سيزيد من عامل التحفيز وسيحقق نتائج أفضل، وهنا يجب أن يبذل الأستاذ الجامعي جهدا معتبرا لتحديد الوسائل التفاعلية المناسبة لكل هدف؛ فعملية إشراك الطلبة الموجودين في أماكن مختلفة، والمحافظة على انتباههم عبر الأجهزة، ليست بالأمر اليسير ولكنها بالتأكيد ليست مستحيلا، لنتحقيق التفاعل كما كان في السابق.

قائمة المراجع:

- بركات،علي أسعد،(2019)، علم الاجتماع، جامعة الشام، دمشق.
- بوجمعة،بوجمعة،(2007)، أشكال الاتصال التقليدية في منطقة القبائل، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في علوم الاعلام والاتصال، كلية العلوم السياسية والاعلام، جامعة الجزائر3.
- بن يونس،بدر الدين ،العايب ،الياس،(2018)، التفاعلية في الفضاءات الافتراضية: الفيس بوك أنموذجا، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر تخصص اتصال وعلاقات عامة، كلية العلوم الانسانية، جامعة محمد بوضياف، المسيلة.
- بن تامي، رضا ، بن عبد الله، نوال،(2017)، نظريات في خدمة العلوم الاجتماعية (قراءة في دور نظرية التفاعلية الرمزية)، مجلة منيرفا، مجلد4، العدد1، الجزائر.
- جونز، فيليب،(2010)، النظريات الاجتماعية والممارسات البحثية، ترجمة محمد ياسر الخواجة، ط1، مصر، مصر العربية لنشر والتوزيع.
- جفال،سامية، حداد،نريمان،(2019)، التفاعلية في المواقع التعليمية الالكترونية، المجلة العربية للإعلام وثقافة الطفل، العدد6، الجزائر.
- حداد، ناريمان ،جفال،سامية ،(2018)،تمثلات الحركة النسوية العربية عبر الفايسبوك، مجلة دراسات وأبحاث، مجلد10، عدد4، الجزائر.
- حمدي، حسين،(1998)، الوظيفة الإخبارية لوسائل الإعلام،د.ط، مصر، دار الفكر العربي.
- حسين، سمير محمد،(1976)، بحوث الإعلام الأسس والمبادئ،د.ط، مصر، دار الفكر للنشر.

- دحماني،فاطمة ،(2020)،استخدامات الطلبة الجامعيين للمنصات التعليمية الالكترونية موودل MOODLE والاشباعات المحققة منها، رسالة مكملة لنيل شهادة الماستر في علوم الاعلام والاتصال، تخصص اتصال وعلاقات عامة، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة محمد بوضياف المسيلة.
- در، محمد،(2017)، أهم مناهج وعينات وأدوات البحث العلمي، مجلة الحكمة لدراسات التربوية والنفسية، العدد09، الجزائر.
- ديفلر، ميلفين، روكتيش، ساندرا بول ،(1993)،نظريات وسائل الإعلام، ترجمة كمال عبد الروؤف،ط1،مصر، الدار الدولية للنشر و التوزيع .
- رضوان، عبد النعيم،(2016)،المنصات التعليمية (المقررات التعليمية المتاحة عبر الأنترنت)، ط01، مصر،دار العلوم لنشر والتوزيع.
- الرفاعي، أحمد حسين،(1998)،مناهج البحث العلمي، تطبيقات اقتصادية وإدارية، د.ط، الأردن، دار وائل للنشر.
- زايد،محمد،(2020)،أهمية التعليم عن بعد في ظل تفشي فيروس كورونا، مجلة الاجتهاد للدراسات القانونية والاقتصادية، المجلد09، العدد04.
- شيبة، شدوان علي،(2016)، العلاقات العامة بين النظرية والتطبيق، مصر،دار المعرفة الجامعية.
- عباسي، فضة ، حمدي، محمد الفاتح،(2017)، مدخل لعلوم الاتصال والاعلام (الوسائل والنماذج والنظريات)، ط1، الأردن، دار أسامة لنشر والتوزيع، الأردن.
- عساسي، آمال ،(2015)،اثنوغرافيا مستخدمي الفيس بوك في المجتمع الجزائري، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في علوم الاعلام والاتصال، تخصص وسائل الاعلام والمجتمع، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة باتنة1.
- قاسيمي، ناصر،(2017)، مصطلحات أساسية في علم اجتماع الاعلام والاتصال، د.ط، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية.
- كويحل،جمال، سناطور، أبوبكر،(2021)، دور المنصات الرقمية في دعم التعلم الجامعي عن بعد في ظل انتشار جائحة كوفيد19، مجلة وحدة البحث في تنمية الموارد البشرية، المجلد12، العدد01، الجزء01، الجزائر.